

الصدق أثره وأساليب تحقيقه في الأسرة في ضوء السنة النبوية دراسة موضوعية

Truthfulness, its effect and methods of achieving it in the family in light of the Sunnah, objective study

خالد حسيني*

جامعة العقيد أحمد دراية - أدرار (الجزائر)، hac.khaled@univ-adrar.edu.dz

Khaled Hacini*

University of Ahmed Draya -Adrar (Algeria)

تاريخ النشر: 2023/01/25

تاريخ القبول: 2022/11/13

تاريخ الاستلام: 2021/05/02

ملخص:

تناول البحث بيان مكانة الصدق في السنة النبوية، وبعض أساليبها في الحث على الالتزام به، وبعض طرق السنة النبوية لبناء منظومة أسرية متكاملة، حتى تضمن استقرار الأسرة وصلاحها، سواء في توطيد العلاقة بين الزوجين يجعلها علاقة مبنية على أساس الدين واستشعار مراقبة الله تعالى للزوجين، واشتراط الصداق بينهما، وتصريحهما بالخجة والوفاء لبعضهما، وتعريف كل منهما بحق الآخر عليه، ومدح الغيرة بينهما، وغلق أبواب الخيانة بالحدود الشديدة، وقطع أبواب الوسائس والشكوك بين الزوجين باليقين، وغير ذلك، أما بالنسبة لمنهج السنة النبوية في تعزيز الصدق عند الأبناء؛ فأرشدت إلى تربيتهم على التوحيد والحياء، وتعريفهم بفضل الصدق وخطورة الكذب، والدعاء لهم بالصالح، والوفاء لهم بالعهود، وكون الوالدين قدوة للأبناء في الصدق والوفاء.

الكلمات المفتاحية: الصدق، الأسرة، السنة النبوية، الزوجين، الأبناء.

Abstract:

The research deals with stating the status of honesty in the Prophet's Sunnah, some of its methods of urging adherence to it, and some methods of the Prophet's Sunnah to build an integrated family system, in order to ensure the stability and righteousness of the family, whether in consolidating the relationship between the spouses by making it a relationship based on religion and sensing the observance of God Almighty for the spouses, The stipulation of the friendship between them, their declaration of love and loyalty to each other, the definition of each of the rights of the other over him, praising the jealousy between them, closing the doors of betrayal with severe limits, cutting off the doors of obsession and doubts between spouses with certainty, and so on, as for the approach of the Prophet's Sunnah in promoting honesty among children. She guided them to educate them on monotheism and modesty, introducing them to the virtue of

* خالد حسيني.

honesty and the seriousness of lying, praying for them for good, fulfilling promises for them, and being a role model for children in honesty and loyalty.

Keywords: honesty; Family, the Sunnah of the Prophet, spouses, children.

1- مقدمة:

رُقِيَ المجتمعات وتطورها قائم على مدى تحليها بالأخلاق والقيم؛ وانتشار الأخلاق في المجتمع هو نتيجة طبيعية لانتشارها في المكوّن الأساسي الذي يتركب منه المجتمع وهو الأسرة؛ فهي النواة التي يصلح أو يفسد بصلاحها أو فسادها المجتمع؛ لذلك كان من الضروري والمتحتم على من يريد إصلاح المجتمع أن يبدأ بما يصلح نواته وهو الأسرة، وعند التأمل في الأخلاق التي يقوم عليها استقرار الأسرة وتطورها نجد جملة من الأخلاق وعلى رأسها خلق الصدق؛ فالصدق هو حجر الزاوية الذي يؤثر وجوده أو غيابه تأثيراً بيّناً واضحاً في النمط العام لسير الأسرة خصوصاً وللمجتمع عموماً.

ولما كانت الشريعة الإسلامية مثّلةً رحمةً للعالمين من أجل تنظيم حياة الناس وإرشادهم إلى الأساليب التي توصلهم إلى الخير بأقل تكلفة وأحسن نتيجة؛ كان من المسلم أن تكون قد احتوت على الطرق التي يمكن أن يصلح بها المجتمع عموماً والأسرة خصوصاً، وأنهما لم تُغفل أثر خلق الصدق في بناء المجتمع الراقي، ولا أُهملت طرق وأساليب تحقيقه فيه، لذلك كان من لزاماً على الباحثين في الشريعة النظر في نصوص الوحيين -وخاصة السنة لكونها شروحاً للقرآن الكريم وتبياناً له- من أجل استخراج الطرق التي جاءت بها لتحقيق تلك القيمة في الأسرة أولاً إلى أن يتحقق تلقائياً شيئاً فشيئاً في المجتمع لما يصبح متحققاً في جميع الأسر التي يتركب منها. لذلك جاء هذا البحث محاولاً الإجابة عن الإشكالية التالية: ما هي الأساليب والطرق التي جاءت بها السنة النبوية من أجل تحقيق الصدق بين أفراد الأسرة؟

وتظهر أهمية الموضوع في كونه يكشف أقرب الطرق وأسهل الأساليب أو أنجحها لتحقيق هذا العنصر المهم في الأسرة وزرعه بين أفرادها، فالمسلم لا تكفيه نظرات أصحاب العلوم الاجتماعية والفكرية ونحوهم، بل لا يرويه ويزيل عطشه إلا نصوص الوحي من الكتاب والسنة، الذين يجد فيهما غايته التي يريد وزيادة على ما يريد.

وهو يهدف إلى إيجاد سبل ناجعة لبناء أسرة مستقرة ومطمئة مبنية على خلق الصدق والوفاء انطلاقاً من التوجيهات الشرعية المستمدة من نصوص السنة النبوية.

ولم أقف -على حسب ما اطلعت عليه- على دراسة سابقة لهذا الموضوع بهذه الصورة.

وقد تمت دراسة الموضوع وفق المنهج التحليلي؛ بحيث يتم تجميع النصوص النبوية ذات الصلة بالموضوع ثم ترتيبها حسب مضمونها وتحليل معانيها ودلالاتها بصورة واضحة.

2- تعريف الصدق وبيان منزلته وأثره العام على الأسرة في السنة النبوية

يحسن قبل الشروع في هذا الموضوع المهم تقديم تعريف ومفهوم لخلق الصدق يصوّر ماهيته وحقيقته حتى يسهل بعد ذلك استيعاب موضوع البحث؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره كما هو معلوم.

2-1 مفهوم الصدق:

يطلق الصدق في اللغة العربية على ما يضاد الكذب ويقابله، وأصل كلمة الصدق واشتقاقها في العربية فيه معنى القوة والصلابة، قال ابن فارس: "الصاد والذال والقاف أصل يدل على قوة في الشيء قولاً وغيره، من ذلك الصدق: خلاف الكذب، سمي لقوته في نفسه، ولأن الكذب لا قوة له، هو باطل، وأصل هذا من قولهم شيء صدق، أي صلب" (ابن فارس، 1979، ج3، ص339). فالصادق له قوة وصلابة في إصابة المراد وقصد المعنى خلافاً للشيء المكذوب فسرعان ما يظهر زيفه ويبدو عواره، ولا يتماسك أمام مجريات الليالي والأيام ووقائعها.

أما في الاصطلاح فتنوعت العبارات في تحديد مفهوم الصدق، إلا أن معاني تلك الحدود متقاربة وتصب في معنى إجمالي واحد، ومن بين تلك التعاريف ما عرفه به ابن عقيل الحنبلي بأنه: "الخبر عن الشيء على ما هو به، وهو نقيض الكذب" (ابن عقيل، 1999، ج1، ص129)، وقيل: "هو: مطابقة القول الضمير والخبر عنه" (الراغب الأصفهاني، 2007، ص193).

ويظهر من هذين التعريفين التقارب الكبير بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للصدق، فكلاهما يجعله مخالفاً للكذب، ويزاد في توضيح ذلك باشتراط وجود التطابق بين الإخبار والواقع.

2-2 منزلة الصدق وأثره العام على الأسرة في السنة النبوية:

منزلة الصدق منزلة عظيمة معروفة بين العقلاء من الناس؛ لأن الصدق عامل أساسي في قيام حياة الناس واستقرارها؛ ولو قدر أن الصدق غاب في مجتمع كلية لما بقي لهذا المجتمع وجود ولا سيرورة؛ لأن جل تعاملات الناس وكلامهم ومواعيدهم ووعودهم وتجاراتهم وعقودهم وغيرها مبنية على صدق الأطراف المتعاملة والمتعاقدة، ولو زال الصدق بين الأفراد لزال الثقة بين الابن وأبيه والأجير والمستأجر والبائع والمشتري والصاحب وصاحبه والزوج وزوجته والحاكم ورعيته وغير ذلك، لذلك ما من مجتمع قائم إلا ويوجد بين أفرادها نسبة معتبرة من الصدق يقوم عليها، ثم تتفاوت المجتمعات في استقرارها ورفقيها وتطورها أو تخلفها وضعفها بحسب قوة مبدأ الصدق فيها أو ضعفه؛ ومن هذا المنطلق جاءت السنة النبوية بنصوصها الكثيرة لتقرير مبدأ الصدق وتعزيز أسسه في الأفراد والمجتمعات، من خلال بيان منزلته وفضله والتأكيد على أهميته.

فمن ذلك أنها بينت أن الصدق طريق يوصل إلى البر والخير كما أن تركه وارتكاب ضده من الكذب طريق يوصل إلى الفجور والشر، فعن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول: "عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، ألا ترى أنه يقال: صدق وبرّ، وكذب وفجر" (مالك، 1985، ج2، ص989).

فمن كثرة ما يهدي الصدق إلى البر حتى صار الصدق والبر مقترنين ومتلازمين؛ وذلك التلازم يستمر حتى يكونان في الجنة كما أن الكذب يقترن مع الفجور ويلزمه حتى يكون معه في النار يوم القيامة؛ فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عليكم بالصدق فإنه مع البر، وهما في الجنة، وإياكم والكذب فإنه مع الفجور، وهما في النار» (أحمد، 2001، ج1، ص198).

والبر كلمة جامعة تشمل شتى أبواب الخير الدينية والدنيوية، ويدخل في عمومها الأمور والعلاقات الأسرية. أما أثر الصدق على منزلة صاحبه؛ فلا يزال يرتقي الصدق بصاحبه ومتعاطيه من درجة إلى ما هو خير منها حتى يوصله إلى درجة الصديقين التي هي من أرفع درجات الجنة في الفردوس الأعلى مع النبيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، وضده في نحو ذلك الكذب، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن العبد ليتحرى الصدق، حتى يكتب عند الله صديقا، ... وإن العبد ليتحرى الكذب، حتى يكتب كذابا» (مسلم، ج4، ص2014).

فإذا تحرى أفراد الأسرة الصدق في شتى أمورهم ارتقوا إلى منزلة الصديقين، وبلغوا منزلة الحكماء كما بلغ الصدق بلقمان الحكيم، فقد روى الإمام مالك رحمه الله أنه بلغه أنه قيل للقمان: ما بلغ بك ما نرى؟ يريدون الفضل فقال لقمان: «صِدْقُ الحديث، وأداء الأمانة، وترك ما لا يعني» (مالك، 1985، ج2، ص990)، فكان صدق الحديث من الأسباب التي رفع الله بها لقمان وخصه بمزيد ثناء وترك له ذكرا في الآخرين. فإذا تحلى أفراد الأسرة بهذا الخلق وارتقوا بأخلاقهم إلى منزلة الصديقين ستصبح الأسرة نموذجا للأسرة المثالية الفاضلة التي يتصورها كثير من الناس في أذهانهم حقيقة موجودة ومجسدة في الواقع رأي العين.

كما وضعت السنة النبوية للأسرة قاعدة عامة مبنية على الصدق في كل شيء، تستقر بها وتحصل بها على الطمأنينة، وتنفي عنها بها كل الشكوك والظنون التي قد تعصف بها من الفتن والأهواء؛ وهي ما رواه الحسن بن علي بن أبي طالب أنه حفظ من جده رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «دع ما يريك إلى ما لا يريك» (النسائي، 1986، ج8، ص327)؛ فإذا سارت الأسرة على هذه الأسرة فستزيل وتتحاشي أي مشكل يمكن أن يثير بين أفرادها الفتنة؛ وتكون جميع تصرفات أفرادها مبنية على الوضوح والصدق والصفاء. ومن أساليب السنة في تقرير الصدق وبيان فضله أنها جعلته منجاة من الشرور في كل الأحوال؛ فأمرت بقول الحق والصدق في كل الأحوال حتى لو ظن صاحبه أن صدقه سيحلب له المكار والمآزق؛ لكن الحقيقة أنه سيخرج بصاحبه من المآزق إلى بر الأمان؛ فقد روى أبو ذر الغفاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصاه بجملة من الوصايا وذكر منها: «... وأمرني أن أقول بالحق وإن كان مُرّاً» (أحمد، 2001، ج35، ص327)، ولو أن أفراد الأسرة نشأوا على هذا المبدأ وحكموه في حياتهم وتصرفاتهم لكان لهم سبيل لتجاوز كثير من الأزمات والمضاييق التي قد يمرّون بها.

3- الأساليب التي جاءت بها السنة لتحقيق الصدق بين الزوجين:

كما أن السنة رَغبت في التزام الصدق على وجه العموم سواء في الحياة العامة أو في الطابع العام للأسرة؛ فهي كذلك خصصت بعض أفراد الأسرة بمزيد حرص على التحلي الصدق وترك الكذب أو ما هو قريب منه، والمقصود في هذا المقام هما الركيزتان الأساسيتان اللتان تقوم عليهما الأسرة وهما الزوجان؛ فقد قررت السنة النبوية كثيرا من الأساليب لتعزيز قيمة الصدق لدى الزوجين وتقديره في نفوسهما، وجعله مبدأ أساسيا تقوم عليه العلة بينهما؛ وإذا نجح الزوجان في تحقيق هذا المبدأ في أنفسهما فسيكون من السهل واليسير على الأبناء النشوء على هذا الخلق والتزامه لأنهم يجدون الجو مناسباً للتحلي والتخلق به. ومن أهم الأساليب التي جاءت بها السنة لتقرير وزرع الصدق بين الزوجين ما يلي:

- **العناية بتعزيز التوحيد في نفس الزوجين:** والأمر بالتوحيد عام لكل الناس؛ لكن التوحيد يُعدّ بالنسبة للزوجين على وجه الخصوص الركيزة الأساسية التي تقوم عليها العلاقة بينهما؛ لأن زرع التوحيد وتعظيم الله عز وجل وتقوية الجوانب الإيمانية في نفس الزوجين، سيجعل الهدف من الزواج تحقيق عبودية الله عز وجل في هذه الحياة بصدق، وليس لمجرد شهوات ومُتَع زائلة، كما أن عناية الزوجين بالتوحيد تجعلهما يستشعران رقابة الله عز وجل في جميع أقوالهما وأفعالهما؛ فلا يجرؤ أحد منهما على الكذب على صاحبه لأنه يعلم أن الله يسمعه ويراه ويعلم حقيقة قوله؛ فيكفه ذلك عن الكذب والمخادعة ويلزمه بالصدق والوفاء، ومن مظاهر عناية السنة بتقوية مبدأ التوحيد لدى الزوجين أنها شرعت في عقد القران بينهما -والذي يعد الارتباط الرسمي الأول بينهما- أن يُستفتح بما يسمى بـ "خطبة الحاجة" التي تتضمن في مقدمتها شهادة التوحيد لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله؛ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة الحاجة أن الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله..." (أبو داود، ج2، ص239)، وما أعظم بركة النكاح أن يستفتح بشهادة التوحيد التي هي أعظم ما أرسلت به الرسل وقامت عليه دعوتهم.
- **الزواج بذات الدين:** ومن أساليب السنة في زرع الصدق بين الزوجين أنها حثت على الزواج بذات الدين؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تُنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك» (البخاري، 2002، ج7، ص7)، ووجه كون ذلك سببا لزرع الصدق بين الزوجين أن المرأة ذات الدين هي التي تقوم معها الحياة الصادقة، في جميع الأحوال والظروف؛ لأن الزواج بما يكون مبنيا على أساس تدين الطرفين الآخر والتزامه بما يُرضي الله سبحانه، أما الزواج المبني على أساس المال أو الجمال أو الحسب فيزول بزوال سببه، وفي المقابل أرشدت ولي المرأة أن يزوج موليته من صاحب الدين والخلق؛ فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض، وفساد عريض» (الترمذي، 1975، ج3، ص386)، وذلك لأن معاملته لها تكون قائمة على الصدق والعدل، فإن رضيها أكرمها وإن لم يرضها لم يظلمها، فقد روي عن الحسن أنه أتاه رجل، فقال: إن لي بنتا أحبها وقد خطبها غير واحد، فمن تشير علي أن أزوجه؟ قال: "زوجها رجلا يتقي الله، فإنه إن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها" (البعوي، 1983، ج9، ص11).
- **اشتراط الصدق:** ودلالته على الصدق والرغبة الأكيدة في النكاح والعفاف ظاهرة من اسمه، فبذل الرجل لمقدار مالي معتبر كان قد سعى في تحصيله بالكد والجهد من أجل الزواج دليل على صدقه رغبته فيه، وأنه ليس لاعبا ولا يريد التفرير بهذه المرأة أو بأهلها.
- **مشروعية التصريح بالحب والوفاء:** ومن أساليب السنة النبوية في زرع الصدق وتقويته بين الزوجين أنها شرعت لكل منهما أن يصرح للطرف الآخر بمحبته ووفائه له، وتأكيد على العلاقة الوطيدة التي تربطه به، وأنها لا تُبارى ولا يمكن أن ينغصها شيء، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله

- عنها أن علاقته بها أشد وأوثق من علاقة "أبي زرع بأم زرع"، فقال لها: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع» (البخاري، 2002، ج7، ص28)، وهو مثال لشدة المحبة والمودة والائتلاف بين الزوجين.
- **تعريف كل من الزوجين بحق صاحبه عليه:** فقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم الرجال بالنساء خيراً في أعظم خطبة خطبها في حجة الوداع فقال: «استوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عوان، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك» ابن ماجه، ج1، ص594؛ فهن أسيرات عند أزواجهن لا يجسهن في بيوتهم إلا هم؛ وذلك يستوجب من الرجل القيام بمسؤوليته التامة تجاه زوجته فيوفيهما حقوقها الواجبة والمستحبة ويزيدها تفضلاً منه وتكرماً؛ جلباً للمحبة وإدامة للألفة، وفي المقابل قال الله سبحانه وتعالى في كتابه: {الرجال قوامون على النساء} (النساء: 34)، فبين أن الرجل هو القوام على المرأة والحريص على شؤونها، وذلك يستوجب منها الطاعة له والاعتراف له بالفضل عليها وشكره على ما يبذله من أجل رعايتها من همٍّ ومكابدة، فإذا كان كل من الزوجين موفياً لحق صاحبه؛ معترفاً له بصدق بدوره وفضله عليه فعندها تستقر الأسرة وتسودها الألفة والسعادة والحبور.
- **إيجاب طاعة الزوجة لزوجها في المعروف:** ومن أساليب تقرير السنة لمبدأ الصدق بين الزوجين أن أوجبت على الزوجة أن تطيع زوجها في المعروف ولا تكثر عليه المخالفة والمشاقة حتى يضعف صدق المحبة بينهما؛ فعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت» (أحمد، 2001، ج3، ص199)، فترتبت هذا الثواب الجزيل على طاعة المرأة لزوجها حتى تكون علاقتها معه مرتقية عن درجة العلاقة الفطرية إلى أن تكون علاقة تعبدية تحتسب في تعاملها معه الأجر والثواب؛ وهذا هو المعنى الحقيقي للعلاقة الصادقة بين الزوجين.
- **مدح الغيرة بين الزوجين:** الغيرة دليل صريح على صدق العلاقة بين الزوجين وارتباطهما الوثيق ببعضهما البعض؛ لذلك جاءت السنة النبوية بمدح تلك الغيرة والحث عليها؛ لأنها تعزز الصدق بينهما وتوثقه؛ وقد قال سعد بن عباد رضي الله عنه: "لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح"، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أتعجبون من غيرة سعد لأننا أغير منه، والله أغير مني» (البخاري، 2002، ج7، ص35)، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة أغير الناس على زوجاتهم وكانت أمهات المؤمنين والصحابيات الجليلات أغير النساء على أزواجهن، وذلك لصدق العلاقة والمودة التي كانت بينهم رضي الله عنهم وعنهن أجمعين.
- **فرض العقوبات القاسية على الخيانات الزوجية:** كما أرشدت السنة النبوية إلى ما يقوي علاقة الصدق بين الزوجين وينميها؛ فإنها حذرت في المقابل من كل ما يشوشها أو ينغصها من الأمور التي تقدح في صدق العلاقة ومتناقها، ومن ذلك تحذيرها الشديد من الخيانة الزوجية، وسنّها لأشد العقوبات والحدود لمن قارفتها وارتكبها، فجعلت نهايتها الموت رجماً بالحجارة؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» (البخاري، 2002، ج3، ص54)، على قول بعض أهل العلم ممن فسر

الحجر هنا بأنه الرجم بالحجارة؛ وإنما شرعت السنة هذه العقوبة القاسية حتى تقطع عليهما باب التفكير في الخيانة أصلاً؛ فضلاً عن مقارفتها والوقوع فيها.

- غلق باب الوسائوس والشكوك بين الزوجين: ومن دفع السنة لما يفسد علاقة الصديق بين الزوجين أنها نمت عن ولوج باب الوسائوس والشكوك، وسدّت مداخل الشيطان بين الزوجين، فحملت ما قد يوقع في الشك في العلاقة بينهما على المحامل والتخريجات الحسنة، فجاءت بالقاعدة العامة أن "اليقين لا يزول بالشك"، وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم الرجل الذي جاءه شاكا في صديق زوجته لما ولدت له غلاماً أسود وخرج له إشكاله على مخرج حسن أزال به شكّه ورييته؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، وُلد لي غلام أسود، فقال: «هل لك من إبل؟» قال: نعم، قال: «ما ألوانها؟» قال: حُمْرٌ، قال: «هل فيها من أُرْقٍ؟» قال: نعم، قال: «فأنى ذلك؟» قال: لعله نزع عِرْقٌ، قال: «فلعل ابنك هذا نزع» (البخاري، 2002، ج 7، ص 53)، فرجع مطمئناً وزل عنه الشك الذي راوده في صديق زوجته ووفائها.

- بيان ضعف المرأة ومراعاة الزوج لطبيعتها وخلقتها: ومن الأساليب التي جاءت بها السنة النبوية لدفع ما يشوش على صديق العلاقة بين الزوجين أن بينت للزوج ضعف المرأة وأن النساء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن» (البخاري، 2002، ج 1، ص 68)، وبيّن ضعف خلقتها مع خلقة الرجل فقال: «المرأة خلقت من ضلع أعوج وإنك إن أقمتها كسرتها، وإن تركتها تعيش بها وفيها عوج» (الحاكم، 1999، ج 4، ص 192)، فينبغي على الزوج حتى لا يكسر صديق المحبة بينهما أن يترك مؤاخذاً على النقيير والقطمير ودقائق الأمور، بل عليه أن يعاملها على حسب ضعفها وطبيعتها خلقتها، ويغض الطرف عما يمكن أن يصدر منها بسبب ذلك؛ وذلك يحافظ على صديق العلاقة بينهما وديمومة المودة والوفاء.

4- أساليب تنمية قيمة الصديق لدى الأبناء في السنة النبوية:

كما سبق أن السنة النبوية اعتنت بزرع وتعزيز قيمة وخلق الصديق بين الزوجين من أجل تكوين أسرة مستقرة تسودها السكينة والسرور والاستقرار، فقد أرشدت كذلك إلى زرع وترسيخ الصديق في نفوس الأبناء من أجل تنشأهم عليه وتعويدهم عليه وزرعه في نفوسهم حتى يصبح لهم طبعاً راسخاً ملازماً لا يمكنهم التخلي عنه ولا التنصل منه، وقد أرشدت إلى جملة من الأساليب التي يمكن أن تحقق بها هذا المقصد؛ ومن أهمها:

- تربيته على التوحيد: فمن أعظم تلك الطرق تنشأهم على التوحيد ومحاولة غرس تعظيم الله عز وجل في نفوسهم، مما يجعلهم يستشعرون رقابة الله عز وجل عليهم في كل حين، وأن يتعلموا أنه حتى لو استطاع أن يكذب على والديه فلن يستطيع أن يكذب على الله تعالى لأنه مطلع عليه، وأنه سيحاسبه حساباً شديداً على الكذب ترك الصديق، وقد كانت أول وصية أوصاها لقمان لابنه هي تحذيره من الشرك الذي هو ضد التوحيد، قال الله تعالى عنه: {وَإِذْ قَالَ لِقْمَانُ لِبْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} (لقمان: 13)، ثم أوصاه باستشعار واستحضار قدرة الله عليه وسعة علمه

وإحاطته، وأنه لا يعجزه ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء فقال: {يا بني إنما إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير} (لقمان: 16) وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسعى إلى تقرير معنى رقابة الله تعالى في نفوس الصبيان وهم صغار؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً، فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» (الترمذي، 1975، ج4، ص667)، فالطفل الذي ينشأ على مثل هذه المبادئ منذ نعومة أظفاره يستحيل أن يحترف الكذب لما يكبر؛ بل سيكون معروفاً بالصدق لأنه مهما سؤلت له نفسه أن يكذب فسيؤدّرها بأن الله رقيب عليه وهو يعلم أنه كاذب فيما سيقدم عليه، فيكون ذلك أعظم وسيلة لغرس الصدق في نفوس الأبناء والصغار.

- **تعريفهم بفضائل الصدق وتحذيرهم من خطورة الكذب:** وذلك بأن يُعلّموا الأحاديث التي فيها الحث على الصدق وفيها ثواب الصادقين وما أعدّه الله لهم من الثواب والنعيم المقيم وأن الصدق "يؤدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة" وأنه منجاة، وأن أهله يحبهم الله تعالى، وأن أفضل الناس كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «كل مخموم القلب، صدوق اللسان»، قالوا: صدوق اللسان، نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: «هو التقي النقي، لا إثم فيه، ولا بغي، ولا غل، ولا حسد» (ابن ماجه، ج2، ص1409)، بل لا مانع من تحفيزهم ببعض المحفزات الحسية عليه أحياناً كالجوائز والمكافآت الرمزية نظير صدقهم، وكذلك تحذيرهم من الكذب ومن مغبته وأنه "يؤدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار"، وأن الله تعالى "لا يحب الكاذبين"، وأن المؤمن قد يقع في عدة ذنوب إلا أنه لا يكون كاذباً؛ فعن صفوان بن سليم أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أيكون المؤمن كذاباً؟ فقال: «نعم»، فقيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ فقال: «نعم»، فقيل له: «أيكون المؤمن كذاباً؟ فقال: «لا» (مالك، 1975، ج2، ص990)، بل أعظم من ذلك أنه خصلة من خصال النفاق؛ فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» (البخاري، 2002، ج1، ص16)، فإذا تعلم الأبناء فضائل الصدق وخطورة الكذب كان ذلك من أقوى الأسباب التي تعينهم على التحلي بالصدق ومجانبة الكذب.

- **الحرص على الدعاء لهم بالنشأة على الصدق:** فقد حرصت السنة على أن يدعو الوالدان لأبنائهما، وجعلت دعواتهم فيهم مستجابة؛ كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث دعوات يستجاب لهن، لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر،

ودعوة الوالد لولده» (ابن ماجه، ج2، ص1270)؛ ومن أعظم ما ينبغي للوالدين أن يدعوا به لأبنائهم هو التحلي بالأخلاق الفاضلة والنبيلة، وعلى رأسها خلق الصدق.

- **تربيتهم على الحياء:** لأن خلق الحياء من أعظم الأمور التي تحمل على التحلي بالصدق؛ والحيي لا يمكن أن يكون كذاباً إلا إذا تخلّى عن حيائه، وقد قال أبو سفيان رضي الله عنه في حديث هرقل: "فوالله لولا الحياء من أن يأتروا علي كذبا لكذبت عنه" (البخاري، 2002، ج1، ص8)، فمع أن أبا سفيان رضي الله عنه كان حينذاك مشركاً ولم يكن قد خل في الإسلام بعد؛ إلا أن حياءه منعه من الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا كان هذا تأثير الحياء على الرجل المشرك فكيف سيكون تأثيره على الشخص المسلم؟ لا شك أنه سيكون أبلغ وأشد في النفع والخير.

- **معاملتهم بالصدق في كل شيء:** تأثير الأفعال في باب الاقتداء أبلغ من تأثير الأقوال المجردة؛ وخاصة في تأثر الأبناء بوالديهم وأخلاقهم، لذلك ينبغي على الوالدين إذا أرادوا تنشئة أبنائهم على خلق معين أن يعاملوهم به، من ذلك الصدق؛ فإذا رأوا والديهم صادقين في أقوالهم وأفعالهم ووعدهم ونحوها فسيتربون على تلك الأخلاق وعلى تلك الطريقة التي وجدوا عليها آباءهم، وقد حرصت السنة على تعويد الصغار الصدق في التعامل ولو في الأمور اليسيرة جداً؛ فعن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قال لصبي: تعال هاك، ثم لم يعطه فهي كذبة» (أحمد، 2001، ج15، ص520)، فإذا اعتاد الصغير على الصدق في أمثال هذه المعاملات اليسيرة فسينمو لديهم هذا المبدأ ويجعلهم يصدقون فيما هو أكبر منها من باب أولى وأحرى.

- **الوفاء لهم بعهودهم:** حرصت السنة النبوية كذلك على لزوم وفاء الرجل لابنه بما كان قد وعده به من الأمور، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول: "إن الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل، ... ولا يعدُّ الرجل صبياً، ثم لا يُنجز له" (أحمد، 2001، ج7، ص10)، ومعلوم أن نفس الصغير تتعلق بما يعده إياه وليه من الأمور؛ فإذا وفى له بوعده وصدق فيه فإن ذلك سيرتسم في ذهن الصغير ويترك في نفسه انطبعا جميلاً عن الصدق والوفاء؛ ثم يستمر معه ذلك إلى أن يكبر ويصبح فرداً من أفراد المجتمع ولا زال يستمد من تلك المواقف اليسيرة ما يبنى عليه المواقف الكبيرة والعظيمة.

- **ترك معاقبتهم على الخطأ عندما يصدقون ويعترفون:** لا شك أن الأبناء عرضة للوقوع في الأخطاء والزلات، وذلك يحمل كثيراً من الأولياء على معاقبتهم من باب التأديب، لكن كثيراً ما تحمل تلك العقوبة بعض الأبناء لما يدركون أنهم أخطؤوا وأنهم سيعاقبون على ذلك على اصطناع شيء من الكذب رجاء أن ينحوا به من العقوبة، لكن الولي العاقل يمكنه أن يستثمر في ذلك الخطأ ليزرع فيه خصلة حميدة؛ فيمكنه أن يعطي لابنه الأمان من العقوبة بشرط أن يصدق في كيفية وقوع الخطأ والاعتراف به وأخذ العهد عليه بعدة تكراره، ويهدده بالعقوبة إن هو كذب، فيرى الصغير أن المنجاة في الصدق وقول الحق ولو كان مُراً، وعند ذلك يتيقن الصغير بأن النجاة حقيقة في الصدق فيقبل على هذا الخلق ويجعله أصلاً من أصوله، وقد جاء في السنة النبوية ما يدل على ذلك؛ ففي غزوة بدر "سار النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل بدرا فوجد على ماء بدر بعض رقيق قريش ممن خرج يغيث أبا سفيان فأخذهم

أصحابه، فجعلوا يسألونهم، فإذا صدقوهم ضربوهم، وإذا كذبوهم تركوهم، فمر بهم النبي صلى الله عليه وسلم وهم يفعلون ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن صدقكم ضربتموهم، وإذا كذبوكم تركتموهم» (عبد الرزاق، 1983، ج5، ص349)، فأنكر النبي صلى الله عليه وسلم على من ضرب الغلمان مع أنهم لم يقولوا إلا الحق والواقع، بل المفروض أن الغلام إذا وقع منه خطأ ثم اعترف بالصدق وقال الحق ألا يعاقب، بل يحذر من تكرار الخطأ وتترك عقوبته لأجل صدقه، فعندها يحب الصغير الصدق لأنه أنجاه، وينتهي عن تكرار الخطأ الذي كان قد وقع فيه.

5- الخاتمة

وفي خاتمة هذا البحث يمكن أن نستخلص أهم النتائج المتوصل إليها؛ ومنها:

- قيمة الصدق لها أثر عظيم تسهم به في بناء الأسرة وتماسكها، فهو الركيزة الأساسية التي تقوم عليها الأسرة السعيدة والمستقرة.
- أسهمت السنة النبوية في بيان القيمة العظيمة للصدق وجاءت فيها نصوص كثيرة تبين فضيلة الصدق ومزله وثوابه الجزيل في الدنيا والآخرة.
- وضعت السنة النبوية عدة طرق وأساليب لتعزيز الصدق في الأسرة، خاصة لدى الزوجين، ابتداء من المرحلة والخطوة الأولى من خطوات الزواج؛ من خلال اختيار المرأة الصالحة ذات الدين والصدق والخلق.
- تعلم التوحيد وترسيخه في النفوس هو أكبر معين على تكوين هذه القيمة لدى الزوجين ولدى الأبناء، فهو بمثابة رقابة داخلية يستشعرها الصادق انطلاقاً من تعظيمه لله تعالى ومعرفته باطلاعه على جميع أموره؛ فلا يجد في نفسه مجالاً للكذب.
- اعتنت السنة بتنمية خلق الصدق في نفوس الأبناء؛ فبهم يسود الاستقرار والطمأنينة في بيت الوالدين في الحاضر، وبهم يسود الاستقرار والطمأنينة في المجتمع لأنهم الأفراد المؤثرون فيه في الغد القريب.
- تنمية قيمة الصدق في نفوس الأبناء هي مسؤولية الوالدين بالدرجة الأولى قبل غيرهما.
- أرشدت السنة النبوية الوالدين إلى عدة طرق وأساليب يمكنهما أن يزرعا بها الصدق في نفوس أبنائهم وبناتهم في مرحلة التربية والتكوين.

6- المصادر والمراجع:

- ابن فارس، أحمد. (1979). مقاييس اللغة. ط1، بيروت: دار الفكر.
- ابن عقيل، علي. (1999). الواضح في أصول الفقه. ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. (2007). الذريعة إلى مكارم الشريعة. القاهرة: دار السلام.
- مالك بن أنس. (1985). موطأ الإمام مالك. ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- أحمد بن حنبل. (2001). مسند الإمام أحمد بن حنبل. ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة.

- مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- النسائي، أحمد بن شعيب. (1986). السنن الصغرى. ط2. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود. بيروت: المكتبة العصرية.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. (2002). صحيح البخاري. ط1. جدة: دار طوق النجاة.
- الترمذي، محمد بن عيسى. (1975). سنن الترمذي. ط2. مصر: مكتبة مصطفى بابي الحلبي.
- البغوي، الحسين بن مسعود. (1983). شرح السنة. ط2. دمشق-بيروت: المكتب الإسلامي.
- ابن ماجه، محمد بن يزيد. سنن ابن ماجه. مصر: دار إحياء الكتب العربية.
- الحاكم، محمد بن عبد الله. (1999). المستدرک على الصحيحين. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
- عبد الرزاق بن همام. (1983). المصنف. ط2. بيروت: المكتب الإسلامي.